

## تفسير البحر المحيط

@ 328 على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، لأنهم بعدما أوتوا من البيان الواضح والدليل اللائح ، المذكور ذلك في التوراة والإنجيل ، من الإيفاء بالعهد والإيمان بالقرآن ، ظهر منهم ضد ذلك بكفرهم بالقرآن ومن جاء به ، وأقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسماع ما يرد عليهم من الأوامر والنواهي ، نحو قوله : { مِنْهُمْ مَن لَّمْ يَلْمِ الْإِنسَانَ جَهَنَّمَ مِمَّنْ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ وَيَتَّخِذُوا اسْمَكُمْ } . .

وقد تقدم الإشارة إلى ذلك ، وأضافهم إلى لفظ إسرائيل ، وهو يعقوب ، ولم يقل : يا بني يعقوب ، لما في لفظ إسرائيل من أن معناه عبد الله أو صفوة الله ، وذلك على أحسن تفاسيره ، فهزهم بالإضافة إليه ، فكأنه قيل : يا بني عبد الله ، أو يا بني صفوة الله ، فكان في ذلك تنبيه على أن يكونوا مثل أبيهم في الخير ، كما تقول : يا ابن الرجل الصالح أطع الله ، فتضيفه إلى ما يحركه لطاعة الله ، لأن الإنسان يحب أن يقتفى أثر آبائه ، وإن لم يكن بذلك محموداً ، فكيف إذا كان محموداً ؟ ألا ترى : { بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا نَبَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ إِسْرَائِيلَ } دليل على أن من انتمى إلى شخص ، ولو بوسائط كثيرة ، يطلق عليه أنه ابنه ، وعليه { تَتَّبِعُونَ وَإِذْ أَخَذَ } ويسمى ذلك أباً . قال تعالى : { مَلَأْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ إِسْرَائِيلَ } وفي إضافتهم إلى إسرائيل تشریف لهم بذكر نسبتهم لهذا الأصل الطيب ، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن . ونقل عن أبي الفرج بن الجوزي : أنه ليس لأحد من الأنبياء غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ( إسمان إلا يعقوب ، فإنه يعقوب ، وهو إسرائيل . ونقل الجوهر في صحاحه : أن المسيح اسم علم لعيسى ، لا اشتقاق له . وذكر البيهقي عن الخليل بن أحمد خمسة من الأنبياء ذو واسمين : محمد وأحمد نبينا صلى الله عليه وسلم ) ، وعيسى والمسيح ، وإسرائيل ويعقوب ، ويونس وذو النون ، وإلياس وذو الكفل . .

والمراد بقوله : { خَالِدُونَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا } من كان بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ( بالمدينة ، وما والاها من بني إسرائيل ، أو من أسلم من اليهود وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ) ، أو أسلاف بني إسرائيل وقدمائهم ، أقوال ثلاثة : والأقرب الأول ، لأن من مات من أسلافهم لا يقال له : { وَءَامِنُوا } بِمَا أَنْزَلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ } ، إلا على ضرب بعيد من التأويل ، ولأن من آمن منهم لا يقال له : { وَءَامِنُوا } بِمَا أَنْزَلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ } ولا تَكُونُوا أَوْلِياءَ

كَافِرٍ بِهِ } ، إلا بمجاز بعيد . ويحتمل قوله : اذكروا الذكر باللسان والذكر بالقلب :  
فعلى الأول يكون المعنى : أمرّوا النعم على ألسنتكم ولا تغفلوا عنها ، فإن إمرارها على  
اللسان ومدارستها سبب في أن لا تنسى . وعلى الثاني يكون المعنى : تنبهوا للنعم ولا  
تغفلوا عن شكرها . وفي النعمة المأمور بشكرها أو بحفظها أقوال : ما استودعوا من  
التوراة التي فيها صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ) ، أو ما أنعم به على أسلافهم من  
إنجائهم من آل فرعون وإهلاك عدوهم وإيتائهم التوراة ونحو ذلك ، قاله الحسن والزجاج ، أو  
إدراكهم مدة النبي صلى الله عليه وسلم ) ، أو علم التوراة ، أو جميع النعم على جميع خلقه  
وعلى سلفهم وخلفهم في جميع الأوقات على تصاريف الأحوال . وأظهر هذه الأقوال ما اختص به  
بنو إسرائيل من النعم لظاهر قوله : { الَّتِي أَنْزَعْنَا عَنْكُمْ } ، ونعم الله على  
بني إسرائيل كثيرة ، استنقذهم من بلاء فرعون وقومه ، وجعلهم أنبياء وملوكاً ، وأنزل  
عليهم الكتب المعظمة ، وظلل عليهم في التيه الغمام ، وأنزل عليهم المن والسلوى . قال  
ابن عباس : أعطاهم عموداً من النور ليضاء لهم بالليل ، وكانت رؤوسهم لا تتشعث ، وثيابهم  
لا تبلى . وإنما ذكروا بهذه النعم لأن في جملتها ما شهد بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم ) ،  
وهو : التوراة والإنجيل